دلالات المكان المغلق في ديوان- الزمن الأخضر-

لأبي القاسم سعد الله

Indications of the closed place in -the collection of the green time –of Abu al-QasimSaad Allah

د. بن علي بن زعتر*

تاريخ الإرسال: 2023/06/30	تاريخ القبول: 2023/09/18	تاريخ النشر: 2023/12/31

الملخص:

يزخر الشعر الجزائري الحديث بخصائص فنية وسمات جمالية، جديرة أن يلتفت الباحث إليها، ويستنطق دلالاتها بمقاربات نقدية متنوعة. تتناول هذه الورقة البحثية دلالات المكان المغلق في ديوان -الزمن الأخضر- لأبي القاسم سعد الله من خلال تقديم مفهوم المكان في المعاجم ثم في اصطلاح النقاد، ثم الولوج إلى أنواع الدلالات في ديوان -الزمن الأخضر-لأبي القاسم سعد الله، وذلك بالتركيز على التحليل اللغوي ثم الخلاص إلى جملة من النتائج.

الكلمات المفتاحية: دلالات، المكان المغلق، الزمن الأخضر، أبو القاسم سعد الله.

Abstract:

Modern Algerian poetry abouds with artistic characteristics and aestheti features worthy of the researcher sattention. And interrogates its implications with a variety of critical approaches.thisresearch paper deals with the connotations of the closed place in the Diwan-The Diwan-The Creen Time- of Abi AL-Qasimsaad Allah by presenting the concept of place in dictionaries and then in the ter;inology of critics.Then access to the types of semantics in the Divan-Al-Zaman AL-AKHDAR-By Abu AL-Qasim saad.by focusing on linguistic analysis.and .and then concluding to a number of results.

Key words.semantics, closed spas,greem time,Abu AL-Qasimsaad.

*** *** ***

*جامعة يحي فارس-المدية- الجزائر benazater.benali@univ-medea.dz

المؤلف المرسل: بن علي بن زعتر benazater.benali@univ-medea.dz

1. مقدمة:

المكان في الشعر عنصر مهم لا تخلو منه النصوص الشعرية، غير أنه ليس مجرد إضافة شكلية فارغة من المدلول، وإنما أصبح يشكل واحدا من مفاتيح النص الشعري، الذي يساعد على كشف مدلولاته واستكناه أسراره، مما جعله في رؤية النقاد والمبدعين زاوية النص باعتباره المفتاح الأهم للولوج إلى فضاء النص والوقوف على حيز المعاني التي يتضمنها النص الشعري الجزائري باعتباره من سلالة الشعر العربي، قد عرف توظيف المكان قديما وحديثا ولم يستنكف الشعر الجزائري الحديث عن توظيف المكان مما يضفي على الشعر جماليات ممزوجة برؤية أدبية فنية وفلسفية.

الإشكالية : ماهي دلالات المكان المغلق في شعر أبي القاسم سعد الله.

2. المكان لغة:

أورد ابن منظور، المكان في لسان العرب تحت الجذر (كون) و(مكن)." في جذر (مكن) المكان والمكانة واحد، الليث: مكان في أصل تقدير الفعل مفعل لأنه موضع لكينونة الشيء فيه،... قال والدليل على أن المكان مفعل أن العرب لا تقول في معنى هو من مكان كذا وكذا إلا مفعل كذا وكذا بالنصب، ابن سيده: والمكان الموضع والجمع أمكنة، وأماكن جمع الجمع قال ثعلب يبطل أن يكون مكان فعالا لأن العرب تقول: كن مكانك وقم مكانك واقعد مقعدك فقد دل هذا على أنه مصدر من كان أو موضع منه قال: وإنما جمع أمكنة فعاملوا الميم الزائدة معاملة الأصلية".[1]

تطرق العديد من النقاد إلى دلالة المكان إلا أن هناك اختلاف بين الفلاسفة واللغويين، في تناولهم لمفهوم المكان حيث عرفه أفلاطون: "هو الحاوي والقابل للأشياء". وعلق الكثير من الفلاسفة على تعريف أفلاطون، للمكان باعتباره أول استعمال اصطلاحي، للمكان فلسفيا ثم توسع فيه أرسطو حيث قال" إن المكان هو السطح الباطن المماس للجسم المحوي، وهو على نوعين: خاص فلكل جسم مكان يشغله

ومشترك يوجد فيه جسمان أو أكثر"[2] نظر أرسطو للمكان في وجهتين: الحاوي: علاقة الحاوي والمحوي. المحوي: ترمي إلى رؤية فلسفية تكمن في سر العلاقة بينهما.

يمكن أن نقول أنهم تأثروا بأرسطو وأفلاطون في تعريفهم للمكان. عرف ابن سينا المكان فقال:" هو السطح المساوي لسطح المتمكن، هو ما يكون الشيء مستقرا عليه، أو معتمدا عليه أو مستندا إليه"[3] يكمن تعريف المكان عند ابن سينا في علاقة السطح الحاوي والسطح المحوي. وأبو بكر الرازي أن المكان" ينقسم إلى مكان كلي أو مطلق ومكان جزئي وهو مكان مرتبط بالمتمكن"، أما الفارابي فيرى أن المكان موجود وبيّن ولا يمكن أن يوحد جسم من دون مكان خاص به".[4] نلمس في جل المعاجم العربية القديمة والحديثة، أنها تصفه بالاتساع على نحو ما ذهبت إليه بعض القواميس الفرنسية، أن الفضاء[5] أدبيا Espace من المصطلحات التي وردت في الكتب النقدية يزاحم مصطلح المكان، الفضاء في الدراسات النقدية مما جعل سعيد يقطين يهتم بالفوارق التي تتشكل بين المصطلحين المكان فيقول: "إن الفضاء أعم من المكان لأنه يشير إلى ما هو أبعد وأعمق من التحديد الجغرافي"[6] ويفتتح باب التأويل الدلالي للمتلقي.

أما حسن نجمي*فقد استعمل الفضاء في كتابه، "شعرية الفضاء" ولم يلتزم بمصطلح واحد وإنما وظفهما معا. وما ذهب إليه ملاح بناجي في قراءته لكتاب جمال بلعربي، "أن الناقد لا يريد أن يفرق بين الفضاء والمكان".[7]

وأما قراءة علال سنقوقة للمكان هو "الحقل الدلالي العام الذي تسبح فيه الدلالات النفسية والاجتماعية المتشاكلة،... فالفضاء عنده هو الرسائل المكنونة والمعلنة ،التي تتوارى خلف الشيفرة والتي يريد أن يوصلها المرسل إلى المتلقي"[8]. نلمس أن المصطلح النقدي للفضاء يحمل الدلالات التي توحي إلى مضمون النص الإبداعي.

كما وقف ملاح بناجي في دراسة عبد القادر فيدوح، على العديد من المصطلحات التي تعكس مفاهيم الفضاء، عند الناقد كما ذكرها الباحث في كتابه*.

1.2 الحيز:

تأرجح مفهوم المكان عند النقاد، لعدة اعتبارات من أهمها دلالة المكان إضافة إلى وجود تشابه في المعنى. لفلاسفة والأدباء إلى المكان بأبعاده ودلالاته المختلفة، وتنوعت تقسيماتهم للمكان من ناقد إلى آخر عند الغرب والعرب والجدير بالذكر أن النقاد العرب استعملوا مصطلحات مختلفة للمكان منهم من استعمل الحيز، الفضاء، المكان، كما تعددت مصطلحاتهم للمكان تباينت تقسيماتهم إلى المكان وارتأينا في تصرفنا المسلط بتتبع الظاهرة من وسطها:

أ- المكان المغلق:

إن المكان عندنا شأنه شأن أي عنصر من عناصر البناء الفني يتجدد عبر الممارسة الواعية للفنان لا ريب أن هذه الرؤية الفنية للمكان تعكس مدى تأثير المكان على الفنان الذي يتجلى في أعماله الإبداعية. "فالمكان من أكثر الأنساق الفكرية تعقيدا في بناء الشعر الحديث".[9]

ينعكس هذا التعقيد من الأبعاد النفسية للمكان داخل النص مع الصورة الشعر اللغة الشعرية. والمتأمل في المكان المغلق "هو حديث عن المكان الذي حددت مساحته ومكوناته"[10]، هو التعريف الأقرب إلى التعريف الفيزيائي منه إلى التعريف الفني أو الفلسفي، "المكان الممسوك بواسطة الخيال لن يظل مكانا محايدا خاضعا لقياسات وتقييم مساح الأراضي، لقد عيش فيه لا بشكل وضعي، بل بكل ما للخيال من تحيز، وهو بشكل خاص في الغالب مركز اجتذاب دائم وذلك لأنه يركز الوجود في حدود تحميه".[11]وما يمكن أن نلمسه عند سعد الله في ديوانه الزمن الأخضر، توظيف المكان المغلق الذي يتجلى في القصائد الآتية:

1- بربروس.2- إلى المقصلة. 3-القفص. 4- أقلام سجية. 5- التأثر الأسير.

2- الديوان ← 123 ← 100 %

3- المكان المغلق ← 14 ← 11.38%

4- المكان المفتوح ← 26 ← 21.13 %

من خلال إحصاء النسب المئوية للمكان المغلق في الديوان، يعكس هذه العدد العددي من القراءات سنقف عليها بالتفصيل من خلال التعرض لجميع القصائد ضمن التقسيم الآتي:

السجن- الدار.

ب- **السجن:** سجن كلمة تتكون من ثلاثة حروف:

السين	مغارزي	رخو	مهموس
الجيم	أدنى حنكى	مرخو	مجهور
النون	أسناني	الشدة والرخاوة	بين مجهور

وعند اجتماعها تعكس لنا حال السجين الذي ينتابه القلق والخوف من هذا المكان في بداية زجه، فيما يعكس الحالة النفسية مع قرنائه السجناء، يهمس إليهم بأخبار ويتمنى لو يصرخ بأعلى صوت مجهور أنه يريد حريته، ولا ينكر أحد أن العلماء والأدباء عانوا من السجن قديما وحديثا في السلم والحرب فكان لهم فيه أقوال وأشعار ومنهم من ألف عنه كتبا. وذكر السجن في الشعر الجزائري ليس بالغريب فمن الشعراء الجزائريين من دخل السجن، ونظم فيه أشعارا تغنت بها الأجيال ومنهم من لم يدخل أو ذكر السجن في شعره نحو سعد الله. باعتبار السجن مكانا فيزيائيا لكن رؤيته تخالف غيره من الشعراء.

"فالسجن بيت الأحزان ومقبرة الأحياء ومجمع الهموم" والقصائد التي وردت في ديوان سعد الله تتجلى في:[12]

1-بربروس. 2-إلى المقصلة. 3-القفص. 4-التأثر الأسير. 5-أقلامنا سجينة.

هذه القصائد التي تطرق فيها الشاعر للسجن حيث" إن اللغة تفقد وظيفتها الدلالية المعهودة لتكتسب من الموقف مرجعية التأثير تعترف منها رمزيتها وإشارتها وتغد قراءة اللغة في هذا الفضاء الضيق/ الواسع ضربا من التجديد في قاموسها الدلالي"[13]،

يعبر الشاعر بلغة متميزة يعكس فيها وجدانه وأفكاره لكن كيف يمكن لشاعر لم يدخل السجن أن يعبر عنه؟ ذهب الكثير من النقاد والأدباء أن التجربة ليست شرطا في العمل الفني لأنه في الكثير من الأحيان ما ينجح العمل الإبداعي وإن لم يتوفر على التجربة اللغة والسجن هي الثنائية التي تعكس العمل الشعري الذي يعتبر سجنا في حد ذاته للمبدع حيث يحاول أن يتخلص منه من خلال تفجير الإبداعية معادلة الشاعر.

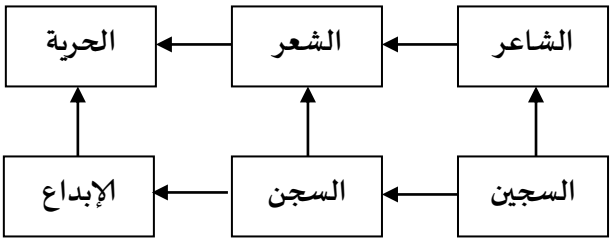

"إن عملية الإبداع داخل السجن، هي دائما محاولات لنسف المكان وفتق حدوده"[14] وأما نظم الشعر خارج السجن هي عملية لنسق المستعمر من البلاد وتحقيق حرية الفكرة أو حرية الذات.

ت- الثائر:

الثائر مبتدأ والأسير صفة والخبر المحذوف، من خلال نظم الشاعر لعنوان القصيدة، على منوال الجملة الإسمية التي تدل على عدم الحركة والتجديد، وخبر محذوف لكون حال الأسير خبره مشهور بين الناس. وضع الشاعر قصيدة "الثائر الأسير" بين قصيدتين قبلها.

ث- القرية التي احترقت:

لتدل على الحزن والعذاب الذي ألم بأبناء الوطن فكون منهم ثوار يدافعون عن وطنهم ومنهم من يقع في الأسر. وبعدها بربروس الأسير ليذوق ويلات العذاب ويرسخ فيه العدو الحب لوطنه من خلال تضحيات أبناء الجزائر. يذكر الشاعر نظم هذه القصيدة

في أسفل الصفحة بقوله: "عندما رأيت أسيرا مخضبا بالدم وحوله سلاح العدو يكاد يخترقه"[15]تحمل هذه العبارات عدة دلالات.

- **الدافع النفسي لنظم القصيدة:**

"حيث جعل الأنا الأعلى وهو صوت المجتمع في نفوسنا"[16] إخبار عن حال الأسرى هو واجب وطني وهي تعكس علاقة الشاعر بالحياة، "والشعر أصدق تصويرا للطبيعة البشرية من التاريخ".[17]

- **دلالات السجن في القصيدة:**

تعد هذه القصيدة مشهدا من مشاهد السجن، باعتبار معاناة الأسير وهي تتكون من ثلاث مقاطع، في كل مقطع يسرد لنا خبره حيث نظمها على الشكل الشعري العمودي.

قال الشاعر:

دِمَاءُ وَجْهِكَ نُـورٌ بِهِ تَسِيُر الـجَزَائِرْ.
وَخَفْقُ قَلْبُكَ لَـحْنٌ يَهُزُّ فِيهَا المَشَـاعِرْ
وَنَـارُ حِقْدِكَ تَشْوِي وُجُوهَ تِلْكَ المَنَاظِرْ
وُتَلْهِبُ الـعَزْمَ فِينَا فَنَسْتَلِذُّ المَخَاطِرْ.[18]

حيث يصف الشاعر لنا حاله وماذا يساوي هذا الألم أمام الأحرار من أبناء بلاده.

ليقول:

وَنَرْكُـب الثَّـأْرَ رَأْسًا مُدَافِعًا أَوْ خَنَـاجِـرْ
وَلَنْ نَعُـودَ لِخَلْفِ وَلَنْ نَخَـافَ المَجَازِرْ
مَهْمَا قَسَا المُسْتَبِدُّ فَلَنْ يَمُسَّ الضَمَائِرْ.[19]

والثأر والحرية هم جماعي يشارك فيه جميع أبناء الوطن الواحد، الذين يتقاسمون معه الألم والحزن.

أَخِي فَـدَتْكَ حَيَاتِي وَمَنِيَّتِي وسِــلاَحِي
كَمَا فَدَيْتَ الجَزَائِرَ بِدَمِــكَ النَّضَــاحِ
فِــدَاكَ كُــلُّ أَبِي مُغَــامِرٍ طَــمَّاحِ
هُنَــاكَ أَنْتَ أَسِيرٌ صَقْرٌ بِغَيْرِ جَنَــاحِ[20]

ينسب الشاعر الثائر إليه بقوله أخي لما تحمله هذه الكلمة في النفس من شحنة عاطفية تفتح باب التأويل بمعنى الأخوة. أخي في الدين، أخي في حب الوطن، أخي في الحزن والألم، أخي في الكفاح.

يعبر هذه المقطع عن تضحيات الأسير، مقابل حرية بلاده. وما يستحقه من تقدير فهو صقر لكن بغير جناح-أي الصقر الذي كسرت، وسلبت منه الحرية. ثم ينتقل إلى علاقة الثائر والمستعمر. يقول:

لَئِنْ غَدَوْتَ أَسِيرًا فَأَنْــتَ حُــرٌ طَلِيقٌ.
فَرُوحَكَ العَبْقَرِي مَــعَالِمٌ وَطَــرِيقٌ.
وَوَجْــهُكَ الأَلْمَعِي صَــحَائِف وَرُقوقُ.
وَشَـعْـرُكَ المُكْفَهِرّ صَـوَاعِقُ وبُرُوقُ.[21]

يمكن أن نلمس عدة دلالات نذكر منها:

- **الدلالات النفسية:** تتجلى الدلالات النفسية في القصيدة في عدة فروع تتمثل في:
  - علاقة الشاعر النفسية مع نفسه.
  - وعلاقة الشاعر النفسية مع الأسير.

- **علاقة الشاعر مع نفسه: الحزن والتحسر** على حال الشاعر في قوله:

أَخِي فَدَتْكَ حَيَاتِي وَمَنِيَّتِي وَسِــلاَحِي
لَئِنْ غَدَوْتَ أَسِيرًا فَأَنْــتَ حُــرٌ طَلِيقُ.[22]

- **علاقة الشاعر مع الأسير:** كما سبق الذكر أن أهم دافع من الدوافع، التي ساهمت في نظم القصيدة هو العامل النفسي. انعكس ذلك في علاقة الشاعر مع الأسير من خلال التعبير في القصيدة بلغة مشحونة بالحب والاحترام للثائر وبالغضب والسخط على المستعمر.

وَجْـهُكَ نُـــورٌ بِهِ تَسِـيرُ الجَزَائِرُ
وَخَفْقُ قَلْبِكَ لَحْنٌ يَهُزّ فِيهَا المَشَاعِرُ.
وَنَار حِقْدِكَ تَشْوِي وُجُوهَ تِلْكَ المَنَاظِرُ

****

هُنَاكَ أَنْـــتَ أَسِيرٌ صَقْرٌ بِغَيْرِ جَنَاحِ
يَحُوطُكَ الغَاصِبُونَ بِهَالَةٍ مِـنْ سِلاَحِ
يَا طَالَمَا خُضْتَ فِيهَا مَعَارِكَ الإِصْبَاحِ

نجد الشاعر في هذه الأبيات متأثرا بحال الأسير، فعبر بلغة جمعت بين الظاهر والباطن للأسير، (وجهك، قلبك، المشاعر، حقدك) هو مزج بين الحالة النفسية للثائر وعلامات غضبه ثم ينتقل.

ج- قصيدة "بربروس":

إن المتأمل في السجن وما يحمله من هموم"، حيطان صامتة وألواح جامدة وأبواب موصدة، صمت رهيب تكاد تختنق منه النفس وسكوت مطبق "تشرف منه الروح على البرزخ... لأنه بيت الوحدة والوحشة والفراق والحسرة والأسى ويكفيك بشاعة السجن أن يوسف عليه السلام قال لصاحبه ﴿**اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ**﴾[23] [24]" .

- **قراءة في العنوان:**

وردت قصيدة **"بربروس"** بين قصيدتين قبلها الثائر الأسير وبعدها إنسانية، ليشكل معنى يطفي على القصيدة جماليات تتعدد روافدها بتعدد قراءتها، نلمس سر المكان للقصيدة حيث يقوم الثائر بمقاومة المستعمر الذي اغتصب بلاده فيزج به إلى سجن "بربروس"، "وهو أكبر وأبشع سجون الجزائر" تذييل للعنوان لا يوجد في الجزائر

سجن واحد، وإنما سجون يسجن فيها الجزائريون لأنهم أرادوا الحرية، تأتي قصيدة إنسانية بعد بربروس ليدل على أن السجن هو اختراق لحقوق الإنسان. وردت كلمة "بربروس" نكرة في اللفظ ومعرفة بألوان الآلام والأحزان والعذاب، التي يذوقها الجزائريون في هذا السجن. **"بربروس"** قصيدة لها علاقة مشاكلة بينها وبين عنوان" **الديوان" "الزمن الأخضر"**، حيث لم يرتق الشاعر إلى ذكر الزمن على إطلاقه (الماضي- الحاضر- المستقبل)، باللون الأخضر الذي يحمل الأمل إلا بعد المعاناة والآلام.

– **دلالات السجن في القصيدة:** تشكل هذه القصيدة ضرب من التشاكل بين العنوان والقصيدة "بربروس" السجن هو كبت للحرية، ونظمها على شكل الشعر الحر أملا منه في تحرر شعبه من القيود، يعكسه التحرر من قيود القافية. الناظر في القصيدة يلمح عدة دلالات تتجلى في: النفسية، الاجتماعية، الواقعية.

– **الدلالة النفسية:** تنعكس في غضب الشاعر من خلال لغته التي يطغى عليها نبرة الغضب افتتح القصيدة بقوله:

أَجِــبْ بَــرْبَرُوس همزة الاستفهام+ فعل أمر.

أَشَعْبَا تُعَذّبُهُ أَمْ ذُبَابْ همزة الاستفهام+ اسم

أَقَلْبًا تُحَطِّمُهُ أَمْ حَجَرْ"[25] همزة الاستفهام+ اسم.

تتشكل إلى المقاطع الثلاثة معنى السكون وعدم الحركة لأنه أورد اسمين وفعل في بدية المقاطع.

أَعَدُوُّكَ للثَّائِرِينَ.
كَرَمْزٌ مُخَوّفٌ مُهّولٌ.
وَأَحْكَمَ أَقْفَالَكَ الغَاصِبُونَ.
لِتَمْضَغَ أَجْسَامَنَا.
لِتَرْهَبَ أَرْوَاحَنَا.[26]

تنم هذه الأفعال الواردة في المقطع: أعدوك أحكم- لتمضغ- لترهب، تدل على الألم والعذاب للشعب عامة والثوار خاصة.

- **الدلالة الاجتماعية:**

إن القارئ للقصيدة يمكنه أن يستنطق الدلالة النفسية، وأما الدلالة الاجتماعية وهي تلك المعاناة والألم والأحزان الجماعية التي لم يعبر عنها الشاعر لشدة الألم، فقد سكت عنها ونطق بما يؤول إليها ويمكننا أن نسجل هذه الدلالات من خلال تأمل في قوله:

أَ بَاسْتِيلْ أَنْتَ مَلِيئًا جَثُث.
مَلِيئًا بُطُولَةٌ.
أَعَادَتْكَ.. أَيْدِي... الطُّغَاةُ
لِتَخِنِقَ أَنْفَاسَ شَعْبٍ يُرِيدُ الحَيَاة ![27]

"وتكشف هندسة النص عن هندسة الفضاء/ المكان."[28]

فالسجن يدل على صلابة المجتمع أمام معاناة الوطن.

- **الدلالة الواقعية:**

تشكل الحرية والإحساس بها حلقة مهمة في حياة البشرية، وعنصرا رئيسيا يحكم علاقة الإنسان بالأرض والحياة، كما أن الحرية قيمة كبرى من قيم الأديان السماوية والشرائع الربانية، والمساس بحرية الإنسان بأي شكل من الأشكال هو مساس بالكرامة الإنسانية، وبعد ذكرنا الدلالة الاجتماعية والنفسية في القصيدة التي خصها سعد الله في المقطع الأخير، وبالدلالة الواقعية في قوله:

سَتَنْهَارُ جُدْرَانَكَ القَاتِمَةُ.
وَأَقْفَالُكَ المُحْكَمَةِ.
كَأَمْسِ الجَعِيدِ.
بِأَسْلِحَةِ الظَّافِرِينَ.

****

فَأَصْبَحَتْ شَيْئًا مِنَ الّذكْرَيَاتِ.
سَتَغْدًو مِنَ الذّكْرَيَاتِ ![29]

هي الحقيقة التي أملاها علينا التاريخ، أنه مهما طال الليل لابد للصبح أن ينجلي ولابد للمستعمر أن يرحل من البلاد، وليبرهن عليها الشاعر يستعين في المقطعين الآخرين، بفعلين ليدل على تغيير الحال فأصبحت، وستغدو وهو أمل الشاعر أن يتحرر السجناء من سجن بربروس وأن تتحرر البلاد من المستعمر.

ح- القصيدة 03- "إلى المقصلة"

– قراءة في العنوان:

نجد الشاعر يستحضر مشهدا من مشاهد السجن المتنوعة بعنوان القصيدة "إلى المقصلة" التي جاءت بين قصيدتين:

- قبلها شاعر حر.
- بعدها الجزائر تتكلم.

إلى المقصلة جار ومجرور، متعلق بمحذوف تقديره أخذوه، متحدثا عن روبسير أحد قادة الثورة الفرنسية وقد أعدم في ساحة الوفاق (الكونكورد) لطغيانة. استهل الشاعر القصيدة باسمه، ثم ترك بياض"كتابة إبداعية وجسد نصي مختلف يراهن في شعريته على الخلق. إذ يعبر فيه كاتبه حدود التقليد، وما اصطلح عليه من أشكال الشعر"[30]، المكاني الفني للقصيدة بين قصيدتين شاعر حر لا ريب أن الدمع بين الشعر والحرية ضرب من نسيج معاني الحرية التي يتغنى بها، ثم يردف القصيدة بالجزائر تتكلم وتفتخر بأبنائها الذين انتقموا من الطغاة. ويتحدث الشاعر بمقام الحال، أن الشاعر الذي تغنى بالحرية هو تعبير عن الثوار الذين أخذوا الطغاة إلى المقصلة. وآن للجزائر أن تتكلم وتفتخر بأبنائها وحيث استهل قصيدة:

الجزائر تتكلم.

"أَقُولُهَا لِفَرنْسَا".
جَلِيَّةُ الصَّبَاحِ.
إِنّي كَمِينٌ جَدِيدٌ.
لِجَيْشِكَ السَّفَّاحُ.[31]

- **الدلالات المتنوعة في القصيدة:**

كلمة "المقصلة" توحي بعدة معان لا يمكن الوقوف عليها إلا من خلال القصيدة التي تعكس عدة دلالات نذكر منها:

- **الدلالة التاريخية/ الدلالة الأسطورية:**

لقد حملت هذه القصيدة ذاكرة المكان وذاكرة الشاعر وذاكرة الأمة مما قاده إلى شحنها بألفاظ ومعان تطفي على القصيدة عدة دلالات.

- **الدلالة التاريخية:**

رُوبِسْبِيير.. إِلَى الجَوْلَتَيْنِ.
سَنَعْدِمُ رُوبِسْبِيير
سَنَحْرِقُ هَذَا الإِلَه ![32]

يشكل هذا المقطع نقطة تقاطع بين الدلالة الأسطورية والولاية التاريخية، حيث جمع الشاعر بين العقاب للشخص والحرق وما يمثله الحرق وهو من أشد أنواع العذاب، حيث ورده في القرآن الكريم قال الله تعالى ﴿**قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ**﴾[33] ﴿**قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ**﴾[34].

لينتقل إلى شكل الإعدام والقصاص، ليس القصاص كما تعارفت عليه الأمم، وإنما قصاص الحرية التي سلبها من الشعب فكان لازما على الشعب أن:

وَسَاقَ الشَّعْبُ طَاغِيَةٌ رَهِيبًا
إِلَى مَوْتٍ أَشَقُّ مِنَ المَمَاتِ

وَأَوْقَفَهُ عَلَى خَشَبٍ وَأَلْقَى.
بِحَبْلِ المَوْتِ فِي عُنقِ الإِلَهِ.
وَأَوْسَعَ وَجْهَهُ بَصْقًا وَوَلَّى
إِلَى سَاحِ الحَيَاةِ مَعَ الصَّبَاحِ.[35]

جاء هذا الحشد الصارخ من الصور معبرا عن انتقام الشعب من الطاغية "رد بسبيير" بالألفاظ الآتية:

← موت أشق من الممات.

← حبل الموت

← بصقا

ورد في المقطع الأخير "إلى ساح الحياة مع الصباح" الترخيم في كلمة "ساح" هي حذف آخر الحرف يعكس الحالة النفسية التي كان يعبر بها الشاعر عن مشهد إعدام روبسيير ليذكر معالم التاريخ في قوله:

وَهَذِهِ حِكَايَةٌ قَدِيمَةٌ
تَارِيخهَا طَوِيلٌ.
****

على سيد التتار....[36] وترك بياضا وثلاث نقاط، تحتمل التأويل وتعد اللغة عنصرها ما في تشكيل المعنى إما بالمكتوب أو بالبياض لأن البياض لغة يخرق المألوف وتؤسس بنية دلالية خاصة.

- **أما الدلالة الأسطورية:** تكمن في قوله

وَبعْدَ غَدٍ سَنُذَوِّقُ القِسَّ قَهْرًا
إِلَى الجَوْلَتَيْنِ مَغْلُولُ الدِّينِ
وَنُلْبِسَهُ كَطَاغِيَةٍ إِلَهٍ
.....

نطِيحُ بِكُلِّ طَاغِيَةٍ إِلَهٍ.

.....

سَنَعْدِمُ رُوبِسْبِيير

سَنَحْرِقُ هَذَا الإِلَهَ !

المتأمل في هذه المقطع، يلمس[37] تكرار كلمة الإله عدة مرات وهي مستوحاة من الأساطير الغربية القديمة، ويقرن الإله بالحرق وضرب من التعذيب قديما، رغم أن **(روبسبيير)** أعدم إلا أن كلمة الحرق تكررت عدة مرات وذلك دليل النفسي على تمني الشاعر بأن يحرق آثار المستعمر في البلاد تتميز هذه القصيدة بأسلوب يعتمد على أنماط القصة.

3. خاتمة:

فيطيب لي بعد مغامرتي "لدلالات المكان لمغلق في ديوان -الزمن الأخضر -لأبي القاسم سعد الله" أخلص إلى تسجيل بعض نتائج هذا المقال الذي لا أدعي أن كل ما فيه يعد جديدا وإنما هي سوى علامات مضيئة تلفت إليها نظر الدارسين والباحثين.

- فلوحظ أن المفهوم اللغوي يكاد يكون واحد عند علماء اللغة وتقارب بين المفهوم الفلسفي والنقدي للمكان.

- تتشابه نظرة النقاد للمكان الفني في الشعر.

- علاقة المنهج الجمالي برؤية فلسفية للمكان من خلال علاقة النص الشعري.

- إدراك الشاعر لأهمية (المكان) فقام بتوظيفه في نصوصه الشعرية وفق رؤية فنية.

- كشفت الدراسة من خلال النصوص الشعرية أن المكان فيها يحمل دلالات متعددة. وقد أظهرت الدراسة في الدلالات المتنوعة أن استحضار الشاعر للمكان في بعض نصوصه كان بدوافع نفسية، تاريخية، أسطورية، اجتماعية.

*** *** ***

4. الهوامش:

[1]- ابن منظور، لسان العرب، م7، مادة- مكن-، تح عامر حيدر، تر: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2005، ص 995.

[2]- محمد علي عبد المعطي، قضايا الفلسفة العامة ومباحثها، دار المعرفة، الإسكندرية، مصر، ص228.

[3]- بدر نايف الرشيدي، صورة المكان الفنية في شعر أحمد السقاف، جامعة الشرق الأوسط، مخطوطا، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، 2011-2012، ص 31. نقلا عن المكان ظاهرة، ص 12.

[4]- مهدي عبيدي جماليات المكان في ثلاثية حنامينة، وزارة الثقافة، دمشق، 2011، ص29. نقلا عن نظرية المكان في فلسفة ابن سينا، ص ص 33-39.

[5]- محمد الحسين الزبيدي، تاج العروس، مطبعة الكويت، د.ط، د.ت، م10، ص 117.

[6]- سعيد يقطين، قال الراوي، البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، الدار البيضاء، م.ث.ع، ط1، 1997، ص237.

*- من النقاد من استعمل الفضاء: جمال بلعربي: تحليل الخطاب السردي لقصة انبعاث.

[7]- ملاح بناجي، آليات الخطاب النقدي المعاصر في مقاربة القصة الجزائرية، دار الغرب، 2002، ص144.

[8]- نفس المرجع، ص145.

*- نفس المرجع، ص 147.

[9]- حنان محمود موسى حمودة، الزمكانية وبنية الشعر المعاصر-أحمد عبد المعطي، عالم الكتب الحديث، ط1، 2005، ص 25.

[10]- مهدي عبيدي-جماليات المكان في ثلاثية حنامينه، وزارة الثقافة، دمشق، 2011، ص43.

[11]- غاستون باشلار، جماليات المكان، تر: غالب هالسا، ط2، لبنان، 1984، ص 179.

[12]- سليمان بن صالح الخراشي، المشاهير والسجون، دار ابن الأثر، ط1، 2003، ص05.

[13]- حبيب مونسي، فلسفة المكان في الشعر العربي، ديوان المطبوعات الجامعية،2011، ص 92.

[14]- نفس المرجع، ص 92.

[15]- أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر، عالم المعرفة، ط3، الجزائر، 2010، ص221.

[16]- مصطفى سويف، الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر، دار المعارف، مصر، د.ت.

[17]- نفس المرجع، ص 35.

[18]- أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر، ص 221.

[19]- نفس المصدر، ص 221.

[20]- نفس المصدر، ص ن.

[21]- نفس المصدر، ص 222.

[22]- نفس المصدر، ص ص 221- 222.

[23]- سورة يوسف، الآية 42.

[24]- سليمان بن صالح الخراشي، المشاهير والسجون، ص 16.

[25]-أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر، ص 223.

[26]- نفس المصدر، ص ص 223- 224.

[27]- أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر، ص 223.

[28]- حبيب مونسي، فلسفة المكان في الشعر العربي، ص 100.

[29]- أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر، ص 224.

[30]- عبد الإله الصائغ، دلالة المكان في قصيدة النثر، الأهالي، ط1، سوريا، 1999، ص15.

[31]- أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر، ص 233.

[32]- نفس المصدر، ص 229.

[33]- سورة الأنبياء، الآية 68.

[34]- سورة الصافات، الآية 97.

[35]- سعد الله، الزمن الأخضر، ص 229.

[36]- نفس المصدر، ص ص 229-230.

[37]- نفس المصدر، ص 231.